



هؤلاء السابقون من أصحاب رسول الله، أصحاب النبي الكريم بعضهم من مكة المكرمة، وبعضهم من المدينة، فالذين سبقوا إلى الإيمان في مكة، والذين سبقوا إلى نصرته النبي في المدينة، هؤلاء الذي تعنيهم هذه الآية.

التسابق في الدنيا فيه حمق كبير لأن الموت ينهي كل شيء :

### ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾



الذي يلفت النظر أن التسابق في الدنيا حمق كبير لماذا؟ لأن الموت ينهي كل شيء، ينهي قوة القوي، ينهي ضعف الضعيف، ينهي غنى الغني، ينهي فقر الفقير، ينهي وسامة الوسيم، ينهي دمامة الدميم، الموت ينهي كل شيء، فالتسابق في الدنيا حمق وأي حمق، ولأوضح هذه الحقيقة بمثل: لو أجرينا تسابقاً كبيراً بين السيارات، سيارة

كبيرة، صغيرة، حديثة، قديمة، محرك بأعلى مستوى، بأدنى مستوى، في نهاية هذا الطريق وإد سحيق، فكل هذه السيارات بعد أن بلغت نهاية الطريق سقطت في الوادي، فما قيمة هذا التسابق؟. التسابق في الدنيا فيه حمق كبير لأن الموت ينهي كل شيء، ينهي القوي، والضعيف، والوسيم، والدميم، والذكي، والغبي، ينهي كل أنواع البشر، فلأن الموت جعله الله نهاية الحياة الدنيا فالتسابق في الدنيا تسابق إلى مجهول، تسابق إلى لا شيء، أما البطولة أن تتسابق إلى مراتب الآخرة، لذلك قال تعالى:

### ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾

[سورة المطففين]

### ﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾

[سورة الصافات]

## التسابق في عمل الآخرة ينتهي بجنة عرضها السموات والأرض :

الله عز وجل أرادنا أن نتسابق في عمل الآخرة لأن هذا التسابق ينتهي بجنة عرضها السموات والأرض إلى أبد الأبد، ولا أحد بإمكان عقله أن يتصور الأبد، ماذا أقول لكم؟ أكبر رقم تتصوره في الكون إذا نسب إلى الأبد فهو صفر، واحد في الأرض أصفار للشمس، للمريخ للمشتري، لبلوتو، إلى أبعد نجم في الأرض.



بالمناسبة: بين الأرض وبين أقرب نجم ملتهب أربع سنوات ضوئية، أقرب نجم ملتهب أربع سنوات ضوئية، والموضوع طويل، لكن باختصار لو كان هناك طريقاً يصل لهذا النجم، وركبت مركبة أرضية تحتاج أن تصل إليه إلى أقرب نجم ملتهب يبعد عنا أربع سنوات ضوئية إلى خمسين مليون عام، فبعض المجرات التي اكتشفت حديثاً والتي تبعد عنا أربعة و عشرين ألف مليون سنة، هذه المجرات متى نصل إليها؟! أما إذا قرأت قوله تعالى:

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ \* وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾

[سورة الواقعة]

لذلك:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾

[سورة فاطر]

إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك، فإذا أعطيته بعضك لا يعطيك شيئاً.

## الموت نهاية كل حي وبداية كل حياة أبدية :

الله أرادنا أن نتسابق، أن نتنافس في الآخرة، لأنها دار القرار، لأنها دار النعيم المقيم، لأنها دار الخلد، لأنها دار الأبد، أما التنافس على الدنيا ففيه حمق وأي حمق، لأن الموت ينهي قوة القوي وضعف الضعيف، وغنى الغني وفقير الفقير.

مرة اطلعت على كتاب من أربعة أجزاء حول قصص العرب، بعد أن قرأت هذا الكتاب وصلت إلى هذه النتيجة، الأقوياء ماتوا، الضعفاء ماتوا، الأغنياء ماتوا، الفقراء ماتوا، الأذكيا ماتوا،

الحق ماتوا، كل هؤلاء البشر الذين قرأت عنهم في هذه المجلدات الأربع ماتوا إذاً الموت نهاية كل حي وبداية كل حياة أبدية.



الموت ينهي كل شيء

لذلك أيها الأخوة، كل مصائب الدنيا تنتهي عند الموت، وكل متاعب الآخرة تبدأ بعد الموت، تبدأ ولا تنتهي، أما مصائب الدنيا فتنتهي عند الموت، فالإنسان الذي أصيب بمرض عضال الموت ينهي هذا المرض، والفقير ينتهي فقره، فالتنافس يجب أن يكون على عمل الآخرة، والآية الكريمة:

﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾

﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾

هنا:

﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾

تسابقوا في العمل الصالح، تسابقوا في معرفة الله، تسابقوا في الإخلاص لله، تسابقوا في خدمة البشر، تسابقوا فيما يقربهم من الله عز وجل.

الإيمان حينما يولد أمامه خيارات لا تعد ولا تحصى :

إذاً:

﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾

هذه الآية تلقي ضوءاً على هذه الآيات التي نحن بصددتها، قال تعالى:

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ﴾

لماذا؟ هذه اللام لام التعليل:

﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾

[سورة الملك الآية: ٢]

لكن لماذا بدأ بالموت؟ بدأ بالموت لأنه بالنسبة إلينا أخطر من الحياة، الإنسان حينما يولد أمامه خيارات لا تعد ولا تحصى، أما إذا وافته المنية فأمام خيارين لا ثالث لهما.



يولد الإنسان وأمامه خيارات لا تعد ولا تحصى

## (( فو الذي نفس محمد بيده ما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار ))

[الجامع الصغير عن حمزة بن حمران]

حينما يولد أمام خيارات لا تعد ولا تحصى، أما حينما يأتيه ملك الموت فأمام خيارين لا ثالث لهما.

لذلك مرت جنازة أمام النبي عليه الصلاة والسلام فقال كلمة رائعة، قال:

((مستريح، أو مُستراح منه، فقالوا: يا رسول الله ما المستريح وما المستراح منه؟ فقال: العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب))

[أخرجه البخاري ومسلم والنسائي ومالك عن أبي قتادة]

كل شيء يرتاح منه، لذلك السبق هنا سبق بمعرفة الله، سبق إيمان به، سبق عمل صالح، سبق استقامة.

## من يتبع أصحاب النبي في منهجهم واستقامتهم وسلوكهم يتبعهم بإحسان :

### ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾

المهاجرون تسابقوا، وفيهم السابق واللاحق، والأنصار تسابقوا، وفيهم السابق واللاحق.

### ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ ﴾

ما معنى اتبعوهم بإحسان؟ حينما تتبع أصحاب النبي في منهجهم، في استقامتهم، في سلوكهم، في إخلاصهم، في محبتهم لله، اتبعتم بإحسان، إذا كان هناك مشكلة مرت أنت لا تجعل همك أن تكبر هذه المشكلة، وأن تجعلها منهجاً، هذا عمل القناصين، عمل المنحرفين، عمل أصحاب النوايا السيئة، لذلك نأخذ من الماضي الأشياء المشرقة، ونتجاوز الأشياء الأخرى.

### ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَآ تَسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

[سورة البقرة]

## في الأزمت طرح أي قضية خلافية جريمة في حق الأمة :



أخواننا الكرام، إذا أنت مسافر إلى بلد، وتعلق آمالاً كبيرة على بلوغ هذا البلد، لك مبلغ كبير تأخذه، ونظرت إلى ورائك فرأيت هناك مشكلة، أو خصومة بين اثنين، هل تقتضي مصلحتك أن تعود إلى الوراء لتتطلع

العودة إلى الوراء لمشكلات التاريخ تشق الصف

تفسير الآيات ١٠٠-١٠٢، الموت نهاية كل حي، وبداية حياة أبدية، ممكن أن تخدع الناس

على هذه المشكلة أم أن تنتظر إلى أمامك لتصل إلى هدفك؟  
 فنحن حينما نستورد من التاريخ مشكلات تشق صفوفنا، أو تباعد بيننا، هذا العمل غير صحيح،  
 وغير ناجح، وغير واقعي، وغير مفيد، فنحن نأخذ من التاريخ ما يجمعنا، ما يوحدنا، ما يقربنا  
 إلى الله عز وجل، أما إذا نقبنا في التاريخ، وقد تكون الروايات غير صحيحة، وكاذبة فأخذنا  
 السلبيات، وكبرناها فهذا عمل شيطاني، لذلك:

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

مرة ثانية: أنت مسافر إلى بلد، لك فيه مبلغ فلكي تحل فيه كل مشكلاتك، سمعت خصومة وراءك،  
 هل تلغي هذا الهدف الكبير وهذه المدينة التي فيها مبلغ كبير وترجع إلى الورا لترى من هو  
 المصيب ومن هو المخطئ؟

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ﴾

أنا أعني ما أقول ينبغي ألا نستورد من تاريخنا مشكلات تشق صفوفنا، وتباعدنا، وتحزبنا،  
 وتجعلنا شيعاً وطوائف هذا كله من عمل الشيطان.  
 لذلك في الأزمان طرح أي قضية خلافية أنا أراها جريمة في حق الأمة، طرح القضايا الخلافية،  
 هناك قواسم مشتركة، ذلك أن أعداءنا يتعاونون تعاوناً مذهباً وبينهم خمسة بالمئة قواسم مشتركة،  
 بينما المسلمون في تخلفهم الحديث يتقاتلون والدماء تسيل، وبينهم خمسة وتسعون بالمئة قواسم  
 مشتركة، ينبغي أن نبحث عن عوامل وحدتنا، عن عوامل قوتنا، عن عوامل ازدهارنا، عن  
 عوامل انتصارنا.

إذاً: نأخذ من الماضي ما يقوي وحدتنا،  
 ما يقوي مكانتنا، ما يقوي مبادئنا، ما  
 يقوي تحقيق رسالتنا، أما أن ننشئ  
 الماضي لنأخذ خلافتنا فنجعل أنفسنا  
 شيعاً، وطوائف، ونتعادى فهذا من عمل  
 الشيطان، النصوص الصحيحة تجمعنا  
 والنصوص الضعيفة والموضوعة  
 تفرقنا، وقد قيل في الصحاح غنية.  
 إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون



لنبحث عن القواسم المشتركة كي نوحّد الصف

دينكم، ابن عمر دينك دينك إنه لحمك ودمك، خذ عن الذي استقاموا ولا تأخذ عن الذين مالوا.  
 لا تنبش التاريخ وتأخذ الصور الخلافية التي تزيد في تشرذمنا، وقد تزيد في انشقاقنا مع بعضنا،  
 هذا عمل تخريبي وليس عملاً بنائياً.

بطولة الإنسان أن يختار من الماضي ما يوحدنا و يجمعنا :

هؤلاء:

## ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ﴾

في مكة،

## ﴿ وَالنَّاصِر ﴾

في المدينة،

## ﴿ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ ﴾

أنت بكل شيء هناك جوانب مضيئة متألفة جداً، اتبع هذا الجانب، وهناك جوانب قد يكون فيها أشياء موضوعة.

أنا لا أنسى مقدمة المؤرخ الكبير الطبري، المؤرخ الطبري بمقدمة الكتاب قال: "أنا جمعت في هذا الكتاب كل ما وصل إلي من دون تمحيص".

فنحن نقع في خطأ كبير حينما نقول: هذه القصة وردت في الطبري، الطبري نفسه بالمقدمة قال: أنا جمعت كل شيء، أنت محص، فما كل شيء ينقل إليك تخبر به.

لذلك البطولة أن تختار من الماضي ما يوحدنا، ما يجمعنا، ما يجعلنا نتألق في هذه الحياة الدنيا.

الرضا بمكروه القضاء أرفع درجات اليقين :

## ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالنَّاصِرِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾

## ﴿ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾

أن يرضى الله عنك شيء طبيعي، أن تكون مستقيماً سيرضى الله عنك، أن تكون محسناً يرضى الله عنك، أن تكون باراً بوالديك يرضى الله عنك، أن تكون محسناً إلى من حولك يرضى الله عنك، فكيف ترضى عنه؟.



يرضى الله عنك عندما تكون باراً بوالديك

إنسان يطوف حول الكعبة كان وراءه الإمام الشافعي، قال هذا الطائف: يا ربي هل أنت راضٍ عني؟ فقال له الإمام الشافعي: وهل أنت راضٍ عن الله حتى يرضى عنك؟ قال له: سبحان الله! من أنت؟ قال له: أنا محمد بن إدريس، قال له: كيف أَرْضَى عنه وأنا أتمنى رضاه؟ قال له: إذا كان سرورك بالنعمة كسرورك بالنعمة فقد رضيت

عن الله.





قال: المؤمن حينما يرى مكانه في الجنة، ويرى مقامه في الجنة يقول: لم أرَ شراً قط، وحينما يرى غير المؤمن مقامه في النار يقول: لم أرَ خيراً قط، من هنا قال سيدنا علي رضي الله عنه: "يا بني ما خير بعده النار بخير، وما شر بعده الجنة بشر، وكل نعيم دون الجنة محقور وكل بلاء دون النار عافية".

### المراتب الرفيعة التي عاصرت النبي موجودة إلى نهاية الدوران :

هناك نقطة دقيقة: الله عز وجل حينما تحدث عن:

﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾

[ سورة الواقعة ]

قال:

﴿ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ \* وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴾

[ سورة الواقعة ]

معنى ذلك أن هذه المراتب الرفيعة التي عاصرت النبي عليه الصلاة والسلام هذه المراتب موجودة إلى نهاية الدوران،

﴿ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ \* وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴾

هذا يدعونا إلى التنافس، أنت ما دمت قد جئت متأخراً لكن المراتب العالية التي بلغها أصحاب النبي يمكن أن تصلها، من هنا قوله تعالى:

﴿ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ \* وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴾

لذلك ورد في بعض أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام:

((اشتقت لأحبابي، قالوا: أو لسنا أحبابك؟ قال: لا أنتم أصحابي أحبابي أناس يأتون في آخر

الزمان الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ، أجره كأجر سبعين، قالوا: منا أم منهم؟

قال: بل منكم، قالوا: ولم؟ قال: لأنكم تجدون على الخير معواناً ولا يجدون ((

[ الترمذي عن أنس ]

لذلك في آخر الزمان:

(( الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ ))

[ الترمذي عن أنس ]

لذلك ورد:

(( عبادة في الهرج كهجرة إلي ))

[ مسلم عن معقل بن يسار ]

في زمن الفتن، في زمن الباطل، في زمن النساء الكاسيات العاريات.

(( عبادة في الهرج كهجرة إلي ))

من صدق الله و أحسن إلى خلقه فاز فوزاً عظيماً :

الآن الله عز وجل حينما تحدث عن هؤلاء:

﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالنَّاصِرِينَ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ ﴾

هناك مهاجر، و أنصاري، وإنسان تابعي، وإنسان تابعي التابعي، في عصر الصحابة التابعين وتابعي التابعين، قال:

﴿ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

العظيم يقول:

﴿ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

فلذلك إذا صدقت الله عز وجل، وتحركت حركة منهجية، وأحسنيت إلى خلقه، وابتغيت رضوانه وجنته هذا الفوز العظيم.

أخواننا الكرام، الإنسان جبل على حب وجوده، وعلى حب سلامة وجوده، وعلى حب كمال وجوده، وعلى حب استمرار وجوده، هكذا جبل، فحينما يحقق وجوده أو علة وجوده في طاعة الله يكون هذا:

﴿ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

النجاح الكبير، التفوق، التألق، البطولة، كل هذه الصفات الرائعة إنما يوصف بها من تحرك إلى الله، لذلك ورد:

(( إذا رجع العبد العاصي إلى الله نادى منادٍ في السموات والأرض أن هئتوا فلاناً فقد اصطلح

مع الله ))

[ورد في الأثر]

الإنسان مهما يكن ذكياً قد لا يكشف المنافق :



الآية التي بعدها:

﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمَنْ أَهْلُ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾

[سورة التوبة]

أتقنوا النفاق، فالإنسان مهما يكن ذكياً، قد لا يكشف هذا المنافق، المنافق أنقن

قد لا تكشف المنافق

دوره تماماً، المشكلة أيها الأخوة، المؤمن هناك توافق بين لسانه وقلبه، فهو واضح، والكافر مع الأسف واضح أيضاً، هناك توافق بين لسانه وقلبه، كفر بهذا الدين، أعطاك مناعة ضده، فأنت مرتاح معه، كافر، أما هذا المنافق فهناك تناقض بين لسانه وقلبه، لسانه معك، وقلبه يحاربك، ورد بالأثر:

((لا بد للمؤمن من كافر يقاتله، ومنافق يبغضه، ومؤمن أحياناً يحسده، ومن نفس ترديه، ومن شيطان يغويه))

خمسة أطراف.

## عذاب المنافق :

﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يَرُدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾

كم مرة صاروا؟ ثلاث مرات، قال: المرة الأولى المنافق حينما يعلم من نفسه النفاق يظهر شيئاً، ويخفي شيئاً، يحتقر نفسه، هذا أول عذاب.

أنا أذكر مرة وزعوا استبياناً على عشرة آلاف زوج، ليجيب عن سؤال، لم لا تخون زوجتك؟ هذا السؤال، فهذه الأجوبة صنفت تصنيفاً أخلاقياً، وجدوا أن أقلها قيمة الجواب الآتي: لا أستطيع، معه بالعمل، ترافقه دائماً، تحرسه دائماً، تحاسبه دائماً، هذا مستوى، قال: لا أستطيع، المستوى الأرقى لا قوة لي على احتمال هذا الذنب، أي الذنب ضاغط، يحس بالخيانة هذا الإحساس بالخيانة ضاغط عليه، أما في المستوى الأرقى فأكره الخيانة، لا أحتمل متاعبها بالوسط، أكره الخيانة أعلى مستوى.

فالشرع بالنهاية يرقى بالإنسان ليكون في مستوى الشرع، الشاهد على ذلك أن أصحاب النبي الكريم وصفوا: يفرحون بما أنزل إليهم، الآن بالبدايات، الإنسان يكون رغباً بالمعاصي والآثام، لكنه تاب إلى الله، هو يشتهيها ولا يفعلها، أوضح مثل: أن إنساناً اصطاح مع الله، والغناء له حكم شرعي واضح، فيه تحريم، فلو استمع في سيارة عامة



الشرع يرقى بالإنسان

إلى أغنية كان يحبها، يتعاطف معها كثيراً، لكن هو لا يستمع إليها، لكن بعد حين يمقت هذه الأغنية، ارتقت نفسه.

الشرع ينبغي أن ينهض بك إلى مستوى تتوافق مع أحكامه، حتى تنطبق الآية الكريمة:

﴿ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾

أما إذا كان هناك مسافة مستمرة بين ما تتمنى وبين الواقع فهذه مشكلة كبيرة. إذاً:

﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ ﴾

المدينة محاطة بالمنافقين، قال:

﴿ وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ﴾

منافقون، في الداخل، ومن الخارج،

﴿ مَرَدُّوا عَلَى النِّفَاقِ ﴾

أتقنوا النفاق.

﴿ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ﴾

أول مرة: احتقارهم لأنفسهم نوع من العذاب، المرة الثانية: أن الله يعاقبهم، هذه الثانية، والثالثة في الآخرة:

﴿ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾

بالآخرة.

من يسلك طريق الإيمان يشعر بسعادة لا توصف :

ما المؤمن؟

﴿ وَلَمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾

[ سورة الرحمن ]



جنة في الدنيا وجنة في الآخرة، هؤلاء الذين عرفوا الله، سعداء في الدنيا، لي رأي سأقوله لكم: إن استمتاع المؤمن في دنياه التي أرادها الله له من دنياه التي أخذها أشد متعة، من الجانب الإيماني اشتهى المال فعمل عملاً شريفاً، وكسب كسباً شرعياً، اشتهى المرأة تزوج، الأشياء التي أبيحت

للمؤمن في الحلال أشد متعة بآلاف المرات من الطريق الآخر.  
فلذلك الإنسان حينما يسلك طريق الإيمان يشعر بسعادة لا توصف، لأنه اصطاح مع نفسه أولاً،  
ولأنه حينما طبق الشرع توافق هذا التطبيق مع فطرته.

﴿ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾

[سورة الروم الآية: ٣٠]

إذا: الأعراب منافقون حول المدينة، وفي المدينة منافقون يتقنون النفاق، لماذا عرف الله نبيه  
الكريم والمؤمنين بهذه الحالة؟ قال:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾

[سورة النساء الآية: ٧١]

## باب التوبة مفتوح دائماً :

الآن:

﴿ وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ  
غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

[سورة التوبة]

من هؤلاء المنافقون؟ يا الله! باب التوبة مفتوح دائماً،

﴿ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ ﴾

قال:

﴿ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ﴾

من أدق ما في هذه الآية أن اعترافهم  
بذنبهم عمل صالح وذنبهم الذي عملوه  
عمل سيئ، فجمعوا بين عملهم السيئ  
وهو الاعتراف بالذنب والعمل السيئ.  
لكن بعضهم يقولون: أن الإنسان حينما  
يعترف بذنبه، ويندم على فعلته فكأن  
هذا في طريق التوبة، دائماً عندنا  
بالقرآن آيات تلفت النظر، هناك آية  
نقول:

﴿ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ﴾

[سورة التوبة الآية: ١١٨]

توبة الله تسبق توبتهم، هناك آية تقول تابوا:



﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ﴾

[ سورة التوبة الآية: ١١٧ ]

ما الفرق بينهما؟ من أدق ما قرأت عن هذه الآية:

﴿ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾

[ سورة المائدة الآية: ١٧ ]

إذا سبقت توبة الله قبول التوبة أي ساق لهم من الشدائد ما حملهم بها على التوبة:

((إن تابوا فأنا حبيبيهم، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبيهم، أبتليهم بالمصائب لأظهرهم من الذنوب والمعائب الحسنة عند بعشرة أمثالها وأزيد، والسيئة بمثلها وأعفو، وأنا أراف بعبدني من الأم لولدها))

[ رواه البيهقي والحاكم عن معاذ، والديلمي وابن عساكر عن أبي الدرداء ]

إذا البطولة أن الله عز وجل إذا ساق لك بعض الشدائد يجب أن تعلم علم اليقين أن هذه الشدائد سبقت لك كي تتوب إلى الله، وحينما تفهم حكمة الله عز وجل، وتصطلح معه، تذوب حباً له:

(( إذا رجع العبد العاصي إلى الله نادى مناد في السموات والأرض أن هتنوا فلاناً فقد اصطلح مع الله ))

[ورد في الأثر]

الله عز وجل أنبأ نبيه عن المنافقين ليحذر أصحابه :

هؤلاء الأعراب المنافقون، وهؤلاء الذين يسكنون في المدينة، ممن

﴿ مَرَدُّوا عَلَىٰ النَّفَاقِ ﴾

أتقنوا النفاق،

﴿ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ﴾

الله عز وجل أنبأ نبيه لينبئ أصحابه بهؤلاء المنافقين كي يحذروهم.

﴿ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ﴾

مرة عذاب نفسي، اختل توازنهم، ومرة عقاب على نفاقهم، والثالثة في الآخرة في جهنم وبئس المصير،

﴿ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾

﴿ وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ﴾

هنا:

﴿ عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾

عندنا رجاء، وعندنا تمن، الفرق الكبير بين الرجاء والتمني، أن التمني لشيء مستحيل، ألا ليت الشباب يعود يوماً، هذا شيء مستحيل، هذا تمن، أما الرجاء فمن صيغته عسى،

﴿ عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾

يغلب على الأمر أنه سيحقق،

﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

**الله عز وجل ونفسك لا يمكن أن تخدعهما لثانية واحدة :**

فيا أيها الأخوة الكرام، القضية قضية دقيقة جداً هو أن مصيرك الأبدي إما إلى جنة يدوم نعيمها، أو إلى نار لا ينفد عذابها، المصير الأبدي مخيف، الدنيا بكل ما فيها. مرّ النبي الكريم على قبر، فقال:

**(( صاحب هذا القبر إلى ركعتين مما تحقرون من تنفلكم خير له من كل دنياكم ))**

[ رواه ابن المبارك عن أبي هريرة ]

فهؤلاء الذين مردوا على النفاق من أهل المدينة، والأعراب حول المدينة، لا تعلمهم يا محمد قد يكون نفاقهم بأعلى درجة من الذكاء والإتقان،

﴿ لَأَتَلَّمَّهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ﴾

لكن أنا أعيد هذه الكلمة التي أرددها كثيراً: قد تخدع الناس لبعض الوقت، وقد تخدع بعض الناس لكل الوقت، أما أن تخدع كل الناس لكل الوقت، فهذا مستحيل وألف ألف مستحيل، لذلك أما الشيء المستحيل فأن تخدع الله.

﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾

[ سورة النساء الآية: ١٤٢ ]

أن تخدع نفسك، والدليل:

﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ \* وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ﴾

[ سورة القيامة ]

الله عز وجل ونفسك لا يمكن أن تخدعهما لثانية واحدة.

﴿ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾

وأرجو الله سبحانه وتعالى أن ننتفع بهذه الآيات، وأن نجعلها نبراساً لنا في حياتنا، وأن يتعمدنا الله بعفوه، إنه سميع مجيب.

**والحمد لله رب العالمين**